

## سعود المولى\*

### ”المقاومة الإسلامية“ في فلسطين: التباسات البدايات، واقعية المسارات

يتناول سعود المولى في دراسته هذه، تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (”حماس“) في بداياتها الملتبسة وواقعية مساراتها اللاحقة عبر متابعة دقيقة لما كُتب عن تلك المرحلة، وارتباطاً بمسارات جماعة الإخوان المسلمين، التي تنتمي الحركة إليها، وما يعرفه من خلال لقاءات مع مرجعيات ذات صلة بالإخوان المسلمين، وبنشأة ”حماس“. وإذ يربط الكاتب نشوء ”حماس“ بالحركة الأم، ”جماعة الإخوان المسلمين“، فإنه يرى أنها ليست حركة جامدة، أو أن خطابها خطاب ثابت لم ولا يتغير، إذ شهد هذا الخطاب، كما شهدت الحركة نفسها وممارستها، عدة تطورات وتغيرات مهمة أدت إلى تحولها بالتدريج من حركة ذات طابع دعوي ديني على النمط الإخواني الكلاسيكي إلى حركة وطنية جهادية، من نوع جديد.

وهذه الدراسة تستكمل دراسة أخرى نُشرت في العدد ٩٣ من ”مجلة الدراسات الفلسطينية“، تناولت العلاقة بين ”فتح“ وحركة الإخوان المسلمين، وكان عنوانها ”فلسطين بين الإخوان وفتح“.

يستقلها عمال عرب، وأدى إلى استشهاد أربعة من أبناء الشعب الفلسطيني في مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة، انطلقت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عند تشييع الشهداء في ٧ كانون الأول / ديسمبر. وبحسب روايات ”حماس“، فقد اجتمع خلال أول أيام الانتفاضة سبعة من كوادر وكبار قادة جماعة الإخوان المسلمين العاملين في الساحة الفلسطينية هم: أحمد

”حماس“ ورواية التأسيس تتفق الروايات الرسمية لحركة المقاومة الإسلامية (”حماس“) على تحديد تاريخ ميلاد الحركة بأواسط كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧. فبعد حادث الاعتداء الذي نفذه سائق شاحنة صهيوني في ٦ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧، ضد سيارة صغيرة

\* أستاذ جامعي لبناني.

وإدراكاً للواجب، واستجابةً لأمر الله،<sup>١</sup> فهي تعبير عن "الدعوة" أولاً، وعن "التلاقي والتجمع" ثانياً. ويؤكد الميثاق أيضاً "العروبة [...] على منهج الله"، وهذه نقطة جديرة بالاهتمام والتوقف عندها، لأنها تحدد السمات الأيديولوجية لمفهوم التحرر الوطني والانتماء العربي وممارسته من جانب "حماس".<sup>٢</sup>

وباختصار فإن حركة "حماس" هي، من زاوية أيديولوجيا مؤسسيها وروايات البدايات، حركة جهادية بالمعنى الواسع لمفهوم الجهاد، وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية، وتؤمن بأن هذه النهضة هي المدخل الأساسي لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وهي حركة شعبية أتت كتعبير عملي عن تيار شعبي واسع ومتجذر في صفوف أبناء الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية يرى في العقيدة والمنطلقات الإسلامية أساساً ثابتاً للعمل ضد عدو يحمل منطلقات عقائدية ومشروعاً مضاداً لمشاريع النهوض في الأمة كافة.<sup>٣</sup>

وحرصاً على تبرير سبب التأخر في الكفاح المسلح أو الجهاد، يقول الميثاق في مقدمته أيضاً: "ولمّا نُضجت الفكرة، ونمت البذرة وضربت النبتة بجذورها في أرض الواقع، بعيداً عن العاطفة المؤقتة، والتسرع المذموم، انطلقت حركة المقاومة الإسلامية لتأدية دورها ماضية في سبيل ربها، تتشابك سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحرير فلسطين، وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كل المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم على أرض فلسطين، منذ أن فتحها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا."<sup>٤</sup> وبهذا الكلام تضع "حماس" حداً بينها وبين من سبقها من حيث البعد: أولاً عن التسرع والعاطفة، وثانياً من حيث استمرار الجهاد منذ عهد

ياسين وإبراهيم اليازوري ومحمد شمعة (ممثلو مدينة غزة): عبد الفتاح دخان (ممثل المنطقة الوسطى)؛ عبد العزيز الرنتيسي (ممثل خان يونس)؛ عيسى النشار (ممثل مدينة رفح)؛ صلاح شحادة (ممثل منطقة الشمال)؛ وكان هذا الاجتماع إيذاناً بانطلاق الحركة التي وزعت بيانها التأسيسي في ١٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧، أي بعد دخول الانتفاضة الفلسطينية أسبوعها الثاني.<sup>٥</sup> وصدر ميثاق الحركة في آب / أغسطس ١٩٨٨، وجاء في المادة ٢ منه أن "حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة وفي باقي مجالات الحياة."<sup>٦</sup> وفي المادة ٦ أن "حماس" هي "حركة فلسطينية متميزة تعطي ولاءها لله، وتتخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله في كل شبر من فلسطين."<sup>٧</sup>

فحركة "حماس" هي إذاً، جناح من أجنحة الإخوان المسلمين نشأت في أواخر سنة ١٩٨٧، أي بعد ٤٠ عاماً على النكبة، و٣٠ عاماً على ولادة حركة "فتح"، و٢٠ عاماً على نكسة الخامس من حزيران / يونيو.

وإخوانية حركة "حماس" وأيديولوجيتها نقرأها واضحة صريحة في "مقدمة" الميثاق التي تعتبر "حماس" "النواة" التي ولدت من وسط الخطوب، وفي خضم المعاناة، ومن نبضات القلوب المؤمنة والسواعد المتوضئة،

الداخلية والخارجية، فكانت حركة المقاومة الإسلامية 'حماس' التعبير العملي عن تفاعل هذه العوامل.<sup>١١</sup>

## الإخوان المسلمون بعد نكسة

حزيران / يونيو ١٩٦٧

تأخر الإخوان المسلمون أربعين سنة لبدء طريق المقاومة في فلسطين وهم أبطال حرب ١٩٤٨ وورثة تراث الحاج أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسام. وبين سنتي ١٩٤٨ و١٩٨٧ كانت نكسة حزيران / يونيو محطة فاصلة بالنسبة إليهم من حيث استعادة حضورهم التنظيمي والسياسي والاجتماعي. بدت هزيمة حزيران / يونيو كما لو أنها حسمت الجدال الفكري السياسي المتعلق بشأن صلاحية الأفكار والتصورات والمفاهيم القومية واليسارية التي كانت مطروحة على الساحة العربية.<sup>١٢</sup> وتبلور في مقابل ذلك خطاب البدايات الإخوانية الذي صار يطرح شعار الإسلام هو الحل. أزعج الاحتلال الصهيوني عن كاهل الإخوان المسلمين المطاردة التي كانت تلاحقهم من طرف النظام الناصري في قطاع غزة تحديداً، وصار في إمكانهم التواصل مع إخوانهم في ضفتي نهر الأردن، فنشط من تبقى من الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين وعبد الفتاح دخان ومحمد حسن شمعة، في إعادة بناء هيكل الإخوان المسلمين مستفيدين من قانون الجمعيات العثمانية الذي اعتمده الاحتلال وطبقه على غزة بعد سنة ١٩٦٧.<sup>١٣</sup>

وقد بادر الشيخ أحمد ياسين بدعوة مجموعة من الشخصيات المنتمية إلى حركة الإخوان، والراغبين في العمل لإعادة تشكيل التنظيم.<sup>١٤</sup>

الرسالة الأولى، وثالثاً من حيث تلاقي أرواح المجاهدين، فيكون القطع مع تراث الحركة الوطنية التحررية للمقاومة الفلسطينية (١٩٥٧ - ١٩٨٧) هو المقدمة والمبرر للوصول مع التراث الإسلامي التاريخي النبوي والصحابي، ومع سيرة الجهاد الفلسطيني بجميع مراحلها، ومع أرواح شهدائه. وما تقوله الروايات الحمساوية يوضع نشأتها في سياق "ما شهدته فلسطين منذ منتصف الثمانينيات من تطور واضح وملحوظ في نمو وانتشار الصحوة الإسلامية (كغيرها من الأقطار العربية)، ونمو الحركة الإسلامية فكرة وتنظيماً، في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وفي أوساط التجمعات الفلسطينية في الشتات.<sup>١٥</sup> وهذا التوضع يقدم لرواية "حماس" عن نفسها إطاراً وتأويلية خاصاً يرى إلى المسألة من زاوية "نضوج الظروف" التي كانت حركة الإخوان المسلمين تُعد لها منذ أن أسسها حسن البنا، ونضوج الظروف عنوانه العام عودة الناس إلى الإسلام بعد عقود النكسات والنكبات والضياع. "ففي ظل تراجع القضية الفلسطينية إلى أدنى سلم أولويات الدول العربية وتراجع مشروع الثورة الفلسطينية من مواجهة المشروع الصهيوني وإفرازاته إلى موقع التعايش معه وحصر الخلاف في شروط هذا التعايش، وبسبب تراكم الآثار السلبية لسياسات الاحتلال الصهيونية القمعية الظالمة ضد الشعب الفلسطيني، كان لا بد من مشروع فلسطيني إسلامي جهادي، بدأت ملامحه في أسرة الجهاد عام ١٩٨١، ومجموعة الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٣ وغيرها [...]".<sup>١٦</sup> ومع نهايات سنة ١٩٨٧ كانت الظروف قد نضجت بما فيه الكفاية لبروز مشروع جديد يواجه المشروع الصهيوني وامتداداته ويقوم على أسس جديدة تتناسب مع التحولات

يقتصر على إنجاز تلك المهمة.<sup>١٦</sup> وذكر أحمد ياسين أن ذلك القرار أُتخذ بعد نقاشات دارت بين الداخل والخارج، إذ سافر أحمد ياسين إلى عمّان حيث التقى عبد الله أبو عزة، مندوباً عن الإخوان المسلمين الفلسطينيين فيها، وأكد الطرفان أولوية التربية ثم إعادة بناء التنظيم. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ أحمد ياسين كان ميالاً إلى البدء بالعمل العسكري منذ اللحظة الأولى، وأبدى ذلك الموقف في الداخل والخارج، لكنه التزم بموقف الأغلبية الذي أصبح قراراً للحركة.<sup>١٧</sup>

وواصلت تلك المجموعة القيادية عملها منذ البداية حتى أواسط سبعينيات القرن الماضي، ولم يطرأ عليها أي تغيير، فأغلبية تلك المجموعة كانت تعمل في التدريس، والمنتسبون الجدد إلى الحركة كانوا من الطلاب في العادة، وكان العمل منصباً على أنشطة دعوة الناس إلى الالتزام بتعاليم الدين والاستقامة على الصعيد الفردي والجماعي. واستمر الانسجام الكامل بين المجموعة القيادية الأولى، ولم تظهر أي اختلافات أو تباينات في الرأي حتى أواسط السبعينيات،<sup>١٨</sup> لكن بدأ يظهر بعد ذلك بعض النقاشات داخل الحركة بشأن عدة مسائل، منها: إعادة ترتيب الأولويات، ومسألة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال، وضرورة استحداث آليات عمل جديدة، مثل بناء المؤسسات. حينها لجأت القيادة إلى استحداث جسم جديد هو "مجلس الشورى"، كي تُدار النقاشات داخله وتُحسم الخلافات. ومع نهاية السبعينيات أصبح المكتب الإداري يُنتخب من طرف مجلس الشورى، وقد جرت انتخابات دورية كل عامين، منذ نهاية السبعينيات حتى اندلاع الانتفاضة الأولى. وأبرزت نتائج الانتخابات بعض التغييرات في عضوية المكتب الإداري.<sup>١٩</sup>

في المرحلة الأولى شكلت هذه المجموعة قيادة الحركة، ولم يكن هناك كيانات أو مؤسسات تنظيمية أخرى، ومع الوقت بدأت أعداد المنتسبين إلى الإخوان تتزايد، وترافق ذلك مع استحداث هياكل وأشكال ومؤسسات ومراتب تنظيمية تلائم الواقع الجديد، وعلى رأسها تلك الهيئة التي حملت اسم "الهيئة الإدارية العامة"، وهي القيادة العليا للحركة في قطاع غزة، وكانت مسؤولة عن الهيئات الإدارية لمختلف المناطق، وتكونت في البداية من مجموعة الشخصيات التي بادرت إلى العمل بعد الاحتلال الإسرائيلي في سنة ١٩٦٧، وهم: أحمد ياسين وإبراهيم اليازوري ومحمد الغرابلي، وكانوا يمثلون مدينة غزة، ومحمود أبو خوصة، وكان يمثل جباليا وتوابعا من مناطق شمال قطاع غزة، وعبد الفتاح دخان، ممثلاً عن المنطقة الوسطى، ومحمد عايش النجار، ممثلاً عن خان يونس، ومحمود محسن، ممثلاً عن رفح. وانتُخب عبد الفتاح دخان رئيساً للهيئة الإدارية، لكنه تنازل عن تلك المهمة لأحمد ياسين، معللاً ذلك بأن المسؤول يجب أن يكون من منطقة غزة، فهي مركز القطاع، فضلاً عن أن أحمد ياسين تتوفر فيه صفات القيادة؛ وأصبح عبد الفتاح دخان نائباً للرئيس بشكل تلقائي.<sup>٢٠</sup>

دارت نقاشات طويلة داخل الهيئة الإدارية العليا، التي أُطلق عليها أيضاً اسم "المكتب الإداري"، بشأن تحديد الأولويات: هل تبدأ الحركة بمقاومة الاحتلال؟ أم تُعيد بناء ذاتها، وتعمل على بناء جيل جديد يكون قادراً على البدء والاستمرار في المقاومة؟ وحُسم الأمر بأن الأولوية يجب أن تكون لمصلحة إعداد جيل وتربيته، ثم إعادة بناء التنظيم، لأن الهدف المرهلي لحركة الإخوان في قطاع غزة يجب أن

الإسلامية في غزة التي كانت أبرز وأهم صرح حاضن لتجربة الإخوان الجديدة.<sup>٢٦</sup>

### الجامعة الإسلامية

بدأ النشاط الإخواني في الجامعة الإسلامية منذ إنشائها في سنة ١٩٧٨، وهي كانت أولى الجامعات الفلسطينية التي تنشأ في قطاع غزة، ولم يسبقها إلا معهد الأزهر الديني الذي كان يرأسه الشيخ محمد عواد، صاحب فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية. وأصبح للإخوان المسلمين نفوذ واسع في الجامعة، إذ عملوا على توظيف أعداد كبيرة من عناصرهم ومؤيديهم، الأمر الذي مكّنهم من السيطرة على الجامعة وإدارتها. وفي سنة ١٩٨٢ تسلّم الإخوان رئاسة الجامعة من خلال محمد صقر، وكانوا يحققون الفوز في أي انتخابات تجري لمجلس الطلبة في الجامعة.<sup>٢٧</sup> وكانت الكتلة الإسلامية في الجامعة الإسلامية تسيطر على مجلس اتحاد الطلبة منذ تأسيسها بنسبة ٧٠٪ من أصوات الطلاب،<sup>٢٨</sup> ولذلك لم يكن غريباً أن نجد أن من ترأس الكتلة الإسلامية كانوا عدداً من أفراد الإخوان البارزين الموزعين على المناطق الجغرافية في قطاع غزة، والذين صاروا، في معظمهم، من قادة حركة "حماس".

خلال الفترة ١٩٨٢ - ١٩٨٧، دارت صراعات عنيفة في الجامعة الإسلامية بين منظمة التحرير ("فتح" والشعبية والديمقراطية) من جهة، والإخوان المسلمين من جهة أخرى، واستخدم العنف، وخصوصاً في السنوات ١٩٨٤ - ١٩٨٥، و١٩٨٦ - ١٩٨٧. كما دار صراع مع "الجماعة الإسلامية"، وهي الإطار الطالب لـ "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين"، ورّع الإخوان المسلمون خلاله بيانات تتهم الجهاد بأنها شيعية عميلة لحركة أمل، وكانت حرب المخيمات في لبنان

### المرحلة في العمل

ابتدأ الإخوان نشاطهم الجديد على مراحل؛ المرحلة الأولى كانت مرحلة المساجد، وهي مرحلة هدفت، وفقاً لإبراهيم المقادمة،<sup>٢٩</sup> إلى بناء المساجد واستيعاب الجيل الجديد من الشباب وتعبئته ولمّ شتاته وتأطير توجهاته وتركيز عقيدته وتعميقها لمواجهة الاحتلال الصهيوني.<sup>٣١</sup> وفي هذه المرحلة عاد خطباء المساجد إلى أداء دور توجيهي وتعبوي، وإلى طرح قضايا اجتماعية وأخلاقية، وأخرى تتعلق بالوعي الإسلامي بطبيعة المعركة مع الكيان الصهيوني، وخصوصاً لجهة التركيز على رفض الغزو الفكري. وذكرت صحيفة "التايمز" اللندنية أن عدد المساجد ارتفع في الضفة الغربية وقطاع غزة بين سنتي ١٩٦٧ و ١٩٨٧ من ٦٠٠ مسجد إلى ١٣٥٠ مسجداً،<sup>٣٢</sup> وأدت المساجد دوراً مهماً على صعيد حركة الإخوان المسلمين، ومكّنهم من التغلغل في أوساط المجتمع الفلسطيني.<sup>٣٣</sup> وبهذا أيضاً تكون التجربة المصرية في بروز خطباء مساجد شعبيين قد انتقلت إلى غزة بعد سنة ١٩٦٧.

تلا ذلك مرحلة المؤسسات وآليتها في بناء المجمع الإسلامي في غزة في سنة ١٩٧٣ برئاسة الشيخ أحمد ياسين.<sup>٣٤</sup> ونشأ المجمع كمسجد، ثم ألحقت به عيادة طبية وناد رياضي ورياض أطفال، ولجنة زكاة، ومركز نشاط نسائي وتأهيل فتيات، ولجنة إصلاح، وفرق أفراح إسلامية.<sup>٣٥</sup> وكانت مرحلة ١٩٧٥ - ١٩٧٩ قد شهدت عودة كوادر إسلامية شابة إلى قطاع غزة بعد تخرجها من الجامعات المصرية أمثال: عبد العزيز الرنتيسي، وإبراهيم المقادمة، ومحمود الزهار، وموسى أبو مرزوق، وإسماعيل أبو شنب، ومعهم وبهم بدأ مشوار الجامعة

من الريف التقليدي المحافظ إلى الجامعات الحديثة ذات الطابع الوطني واليساري الواضح مثل جامعة بيرزيت. وفي بداية الثمانينيات توصل التيار الإسلامي إلى التساوي في أحيان كثيرة في مجالس الطلبة مع الكتلة الوطنية المتحدة تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية. وترافق ذلك مع موجة عارمة من إنشاء المساجد الجديدة وإغلاق قاعات السينما وظاهرة العودة الجماعية إلى الدين، الأمر الذي كان يتسارع ويزداد أيضاً في أراضي ٤٨، وفي بقية البلدان العربية عامة.

ويبدو أن صعود قوة التيار الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة جاء موازناً لصعود اليمين المتطرف إلى السلطة في إسرائيل بعد سنة ١٩٧٧، وما رافقه من تصاعد لعملية الاستيطان اليهودي، وخصوصاً مع بروز منظمة "غوش إيمونيم" الصهيونية الاستيطانية المتطرفة، ومع اندلاع المواجهات مع المستوطنين حول المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي. وبرزت الكتل الطلابية الإسلامية إلى ساحة العمل الطلابي في جامعات الضفة الغربية وقطاع غزة، وساعدها في شق طريقها تراجع الطروحات اليسارية والقومية، وصعود الجماعات الإسلامية الجهادية في مصر، وقيام الثورة الإسلامية في إيران، وبروز ظاهرة الجهاد الأفغاني<sup>٢٩</sup> وبرأيي، فإن تطورات الوضع اللبناني خلال الحرب الأهلية كان لها انعكاسات وتأثيرات قوية في شباب فلسطين المحتلة، فقد تشكلت الكتل الإسلامية في جامعات الضفة الغربية، وأخذت تخوض الانتخابات وتحقق نسباً متقدمة. فعلى سبيل المثال، حصلت الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت في سنة ١٩٧٩ على ٤٣٪ من أصوات الطلاب، أمّا في جامعة النجاح ففازت الكتلة الإسلامية في سنة ١٩٧٩

في تلك الفترة مشتتة. وفي الحقيقة، فإن الصراع كان يتجاوز الجامعة إلى مسألة الوجود الحركي لجماعة الإخوان في القطاع كقوة صاعدة في بداية الثمانينيات. وتمت السيطرة التامة للإخوان على الجامعة على الرغم من أن التمويل الرئيسي لميزانية المؤسسة كان يأتي من منظمة التحرير الفلسطينية، ومصدره مساعدات الدول النفطية العربية لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي كانت تقرر منذ سنة ١٩٧٨، واستمرت خلال الأعوام التي تلتها. ومع تقليص المساعدات العربية لمنظمة التحرير طراً تغيير كبير في ميزانية الجامعة التي صار تمويلها يأتي من مصادر خارجية مثل الحركة الإسلامية في الأردن، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي في السعودية، الأمر الذي جعل الحركة الإسلامية في الأردن تتحكم في تعيين مجلس أمناء الجامعة بصفتهم المسؤولين عن جمع الأموال من مصادر خارجية. وعيّن محمد صقر أحد رجال الحركة الإسلامية في الأردن، رئيساً للجامعة، واستمرت رئاسته عاماً واحداً منع بعده الحكم العسكري الإسرائيلي استمرار بقائه في قطاع غزة، وبعد سنة ١٩٨٥ أصبحت الجامعة الإسلامية معقل النشاطات الإسلامية في قطاع غزة بفضل الحضور الكبير لأعضاء الحركة والسيطرة على ميزانية المؤسسة التي بلغت ١,٢٠٠,٠٠٠ دينار في سنة ١٩٨٦.

## التيار الإسلامي والجامعات في الضفة

في الفترة نفسها، عرفت الضفة الغربية انتشاراً واسعاً للتيار الإسلامي لعله كان نتيجة ازدياد عدد الطلاب المحليين القادمين

الناصر، فانقلاب حافظ الأسد في سورية، أوجد وضعاً جديداً حوصرت فيه حركة "فتح" في الضفة وغزة، فلجأت الى لبنان وغرقت في تناقضاته. ومع خروج الإخوان من السجون المصرية في سنة ١٩٧١، تدفق الشباب عليهم طلباً للبديل، فكانت مرحلة عاصفة من الحوارات والنقاشات والتفاعلات داخل الإخوان استمرت حتى سنة ١٩٧٧، تاريخ وصول الليكود الى الحكم. فبين سنتي ١٩٦٧ و١٩٧٧ تمتع الفلسطينيون في غزة بوضع اقتصادي شبه مستقر وشبه جيد ناجم عن تدفق العمالة الغزوية إلى إسرائيل بعد فتح الحدود، وبعد التحرر من القمع المصري وتمدد التسوق الإسرائيلي في غزة والانفتاح على الضفة الغربية وجمع شمل العائلات وتدفق عائدات العمالة إلى الخليج، إلخ. وكانت سياسة إسرائيل في غزة تتسم بتجاهل حركة الإخوان، والتركيك على ضرب قوى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقوات التحرير الشعبية، وهما ورثتا القوميين العرب والناصرية، وحركة "فتح" وروابطها، الأمر الذي سمح للشيخ أحمد ياسين بنيل تراخيص رسمية للعمل الاجتماعي والدعوي. لكن السياسة الاسرائيلية الانفتاحية خلقت في المقابل شعوراً بفقدان الكرامة الوطنية من جهة، وبالتعرض لغزو فكري ثقافي تغريبي من جهة أخرى، وهو ما أدى الى تبلور ردة الفعل الأصولية المحافظة في خطاب الهوية الدينية، وخصوصاً مع تصاعد حمى هذا الخطاب في المحيط المباشر، مصر أولاً حيث تدفق الطلبة الغزيون للدراسة في جامعاتها، ثم لبنان حيث حلت قوات الثورة الفلسطينية منذ سنة ١٩٧١. وجاءت أحداث لبنان في سنة ١٩٧٣، وبين سنتي ١٩٧٥ و١٩٧٦، وأحداث مصر ثم زيارة الرئيس السادات للقدس في سنة ١٩٧٧، وانقسم الوضع العربي على وقع صعود اليمين الاسرائيلي

بعشرة مقاعد من أصل أحد عشر مقعداً، وفي سنة ١٩٨٠ حازت خمسة مقاعد فقط، وعادت في سنة ١٩٨١ للاستئثار بالمقاعد الأحد عشر كافة.<sup>٢٠</sup>

تحرك الشيخ أحمد ياسين نحو الضفة الغربية والأردن، وأفلح في إيجاد قنوات اتصال مع الإخوان المسلمين في الضفة.<sup>٢١</sup> وبالتوازي مع ذلك، تأسست في الخارج في سنة ١٩٧٧، "قائمة الحق الإسلامية"، كإحدى قوائم اتحاد طلبة فلسطين في جامعة الكويت، وكان أول رئيس لها خالد مشعل،<sup>٢٢</sup> وجرى تحويل اسمها إلى "رابطة الإسلامية لطلبة فلسطين" في جامعة الكويت.<sup>٢٣</sup> وفي بريطانيا تأسست في سنة ١٩٧٩ "رابطة الشباب المسلم الفلسطيني"، وتأسس في أميركا الشمالية في سنة ١٩٨٠، وكندا في سنة ١٩٨١، "الاتحاد الإسلامي لفلسطين"، وشارك في هذا الاتحاد في سنة ١٩٨٣ موسى أبو مرزوق.<sup>٢٤</sup> وكانت نشأة هذه الرابطة تعبيراً عن بحث الشباب الفلسطيني في الشتات عن دور في ساحة العمل الفلسطيني.<sup>٢٥</sup>

وبلغت المنافسة بين حركة الإخوان ومنظمة التحرير الفلسطينية على قيادة الشارع الفلسطيني في الجامعات والمدارس الثانوية والمؤسسات في الضفة الغربية وقطاع غزة حداً جعل فصائل منظمة التحرير الفلسطينية تصف الإخوان المسلمين بالتخاذل وعدم المشاركة في مواجهة الاحتلال الصهيوني.<sup>٢٦</sup>

## الوضع العسكري في غزة

١٩٧١-١٩٨١

شهدت الأعوام الأولى بعد النكسة مرحلة عودة التعاون مع حركة "فتح" من خلال قواعد الشيوخ في الأردن (١٩٦٨ - ١٩٧٠)، لكن أحداث أيلول / سبتمبر، ثم وفاة عبد

وكانت خبرة الإخوان المسلمين في حقل تجارة السلاح محدودة وضعيفة، وكانت هذه أول تجربة للحركة الناشئة، الأمر الذي أدى إلى انكشاف الخلية واعتقال أعضائها وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذي حُكِمَ عليه بالسجن ١٣ عاماً، وعبد الرحمن تمران بـ ١١ عاماً، ومحمد شهاب بـ ١٠ أعوام، وإبراهيم المقادمة بـ ٨ أعوام، وصلاح شحادة بعامين ونصف عام، وحرب مهرة بـ ٤ أعوام، ومحمد سمارة بـ ٣ أعوام. وقد أفرج عنهم في صفقة تبادل الأسرى في سنة ١٩٨٢.<sup>٣٨</sup>

وفور خروجه من السجن، أسس الشيخ أحمد ياسين جهازاً أمنياً أطلق عليه اسم "مجد" كبداية استعداد للعمل العسكري، وتوسع هذا التنظيم مع مباشرته العمل خلال عام ونصف عام من قيامه. ومع بداية الانتفاضة كان هذا التنظيم جاهزاً للاستمرار في عمله الأمني الجهادي، ثم شكل الشيخ ياسين جهازاً عسكرياً جديداً ومنفصلاً عن "مجد" مع إمكان التنسيق بينهما، وكلف صلاح شحادة قيادة التنظيم الجديد الذي أطلق عليه اسم "المجاهدون الفلسطينيون".<sup>٣٩</sup> وجنّد شحادة عناصر جديدة كان بينها محمد المصري الذي عُرف فيما بعد بـ "الضيف"، والذي صار المطلوب الأول للكيان الصهيوني بعد اغتيال يحيى عياش.<sup>٤٠</sup> ومما يدل على فاعلية جهاز "مجد" اعتراف بعض أعضاء حركة "حماس" الذين حَقَّقَ معهم في السجون الصهيونية، بأن الجهاز كان قد باشر أعماله منذ سنة ١٩٨٥.<sup>٤١</sup>

### "حماس" والرواية الأخرى: قصة

#### الانتماء إلى الإخوان بدأت بعد

نكسة ١٩٦٧

وفقاً لمؤرخي "حماس"، فإن الشيخ

الذي سدد ضربات قوية وموجعة إلى منظمة التحرير في لبنان، وأهمها غزو الجنوب اللبناني واحتلاله في آذار / مارس ١٩٧٨، وفي الخارج حيث لجأت إسرائيل إلى اغتيال عدد من قادة الثورة وكوادرها. وتُوجت تلك المرحلة بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد في ١٩٧٩/٣/٢٦.

في هذه الأجواء سمح الليكود ببناء أول مستعمرة في غزة. وأدى الانسحاب الإسرائيلي من سيناء بموجب كامب ديفيد إلى نشر القوات الإسرائيلية المنسحبة حول غزة، وبذلك صارت غزة هي الحدود بين مصر وإسرائيل، وهي مركز الحشد الإسرائيلي العسكري. ومع تولي أريئيل شارون منصب وزير الدفاع في سنة ١٩٨١، تشكلت قوات خاصة من الجيش الإسرائيلي عُرفت بالقبعات الحمر، وكانت أوامرها تقضي بإذلال الناس وإهانتها على الحواجز التي ازداد عددها، وخصوصاً لجهة عرقلة انتقال الطلاب الثانويين والجامعيين بين القطاع والضفة وداخل القطاع نفسه، والضغط العنيف عليهم لمنعهم من مساندة العمليات الفدائية. وهكذا صارت غزة سجنًا كبيراً، ولم يعد سهلاً السفر إلى مصر أو منها إلى غزة، كما تم منع السفر إلى الأردن والتضييق على دخول العمال الغزّيين إلى إسرائيل باستثناء السماح لهم بالعمل في بناء المستعمرات، الأمر الذي ضاعف من الشعور بالمهانة. ثم كان اجتياح لبنان في صيف سنة ١٩٨٢، وهو ما فجّر مشاعر الفلسطينيين ضد الاحتلال.

### الإخوان المسلمون يتجهون إلى العمل

#### العسكري

اتجه الشيخ أحمد ياسين نحو شراء السلاح وتخزينه في عملية سرية، وذلك في سنة ١٩٨٠، واستمر هذا الأمر ثلاثة أعوام.<sup>٣٧</sup>





الشعبية المسلحة والمدنية، وخصوصاً في غزة. وكان هذا يتفاعل ببطء داخل جماعة الإخوان الذين لم يستوعبوا محاولات شعرية تتحدث عن الحب على سبيل المثال.<sup>٤٦</sup> وسارت الأمور وتفاقت حتى أصبح الشباب يطالبون بانتخابات داخلية. وترك الشيخ عبد العزيز وبشير نافع وعلي شكشك الإخوان في سنة ١٩٦٥.

ومنذ سنة ١٩٧٥، وهي السنة التي وصل فيها فتحي الشقاقي إلى مصر لدراسة الطب، صارت الاجتماعات تدور حول فكرتين: القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية، وكيفية بناء الطليعة الإسلامية.

بعد ذلك كانت بدايات الثورة الإيرانية، ووجود مجلة "المختار الإسلامي" في مصر والتي كان يصدرها الشيخ يحيى عاشور، ونشاط الجماعات الإسلامية الطلابية المستقلة عن الإخوان في الجامعات المصرية والتي شكلت حاضنة تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية، ثم كان كتاب الدكتور فتحي الشقاقي عن الثورة الإيرانية قبل انتصارها: "الخميني والحل الإسلامي البديل"، وهو كتاب من القطع الصغير جمعه الأمن من السوق ونفدت منه طبعتان في أقل من شهر. وألقي القبض على الدكتور فتحي وتقرر ترحيله خارج البلد، وكان ذلك في سنة ١٩٧٩، سنة الثورة الإيرانية. وقد رجع فتحي وعبد العزيز إلى غزة في نهاية سنة ١٩٨١. ومع عودتهما بدأت مسيرة العمل الجهادي المسلح في فلسطين، وخصوصاً بعد غزو لبنان في صيف سنة ١٩٨٢.

### حركة الجهاد وتفجير الانتفاضة

بلغت ذروة العمل الجهادي المسلح لحركة الجهاد الإسلامي في عملية البراق الشهيرة

أنهى فتحي دراسة التوجيهي والتحق بكلية بير زيت، وكان يأتي كل أسبوع محملاً بالكتب والحكايا "ينتظره الشباب كمن ينتظر ينبوع معرفة ويختطفون الكتب منه والمجلات [...] وتعرّفنا منه على التنوع الثقافي والسياسي في الضفة مثل مقالات التحريريين خصوصاً وفكرهم [...] المخيم غيتو لكنه يموج بالشوق للانبثاق." يعني باختصار كان ذلك بعد النكسة وقد خرج الشباب من الوطن تبعاً. موسى أبو مرزوق في سنة ١٩٦٩، وعلي شكشك في سنة ١٩٧١، وفتحي في سنة ١٩٧٥.

إذاً، الانتماء إلى الإخوان لم يكن بسبب الاستماع إلى خطب الشيخ أحمد ياسين، وإنما بسبب مناخ فكري وسياسي ومعرفي تشكّل بين الشباب بعد النكسة. أمّا بشير نافع فترك القطاع بعد النكسة مباشرة إلى عمّان حيث التحق بأشبال "فتح"، وعائش مجازر أيلول / سبتمبر وكان قد أنهى التوجيهي وجاء إلى مصر، لكنه بدأ الدراسة في سنة ١٩٧١، فكان يحمل في تلك السن المبكرة تجربة متميزة عن النموذج الإخواني.<sup>٤٧</sup>

خرج هؤلاء الشباب من غزة كإخوان مسلمين، وكانوا مجموعة يتقدّمها الشيخ عبد العزيز عودة الذي كان صاحب الفضل الأكبر، وكان معهم أيضاً إبراهيم المقادمة وأحمد الملح ويوسف رزقة وأحمد يوسف وعلي صايمة. واستمر هؤلاء الشبان في التزاور والتعاون والقراءة والحوار، لكن الأمور كانت صعبة في مصر تلك الأيام، و"الإخوان" كانت تهمة كبيرة. وتعبير أنهم تركوا الجماعة غير دقيق، والصحيح أن الجماعة لم تحتل نمطاً مغايراً للنمط التقليدي الإخواني المصري - الغزي، والذي كان فيه الشباب يقرأون الفكر اليساري الجديد ويتابعون تطور حركة المقاومة

بالعملية الجهادية، وذلك لتجنب التنافس والتسابق في إعلان العمليات بين مختلف الفصائل الفلسطينية. وكان للشهداء أبي حسن وحمدى ومروان، الدور المميز في ولادة سرايا الجهاد التي يعود إليها الفضل في تفجير الانتفاضة الأولى.

وتعتبر حركة الجهاد الإسلامي أن دم أبطال الحركة الذي سال على أبواب مدينة غزة، في معركة الشجاعة، هو الشرارة التي فجرت الانتفاضة، علماً بأن حادثة دهس العمال قرب جباليا في ٨/١٢/١٩٨٧ جاءت على خلفية مقتل مستوطن صهيوني على يد أعضاء من الجهاد الإسلامي. وتعتقد الحركة أنها تحملت مع بقية الجماهير الفلسطينية أعباء الانتفاضة الفلسطينية في أسابيعها الأولى، وأصدرت البيانات والمنشورات داعية الجماهير إلى الخروج والمقاومة والجهاد على درب شهداء الشجاعة. لا بل إن أول بيان حمل اسم المقاومة الإسلامية في فلسطين هو كراس صغير من ٨ صفحات أصدرته حركة الجهاد يوم الجمعة في ١٦/١٠/١٩٨٧ بعنوان "انطلاقة الدم والشهادة"، وقد خصصته للحديث عن فلسفة الشهادة، وعن سيرة الشهداء الخمسة أبطال الشجاعة.<sup>٤٨</sup>

### عوامل تبلور خيار "حماس"

١ - كانت الساحة الطلابية في الجامعة الإسلامية في غزة مشتعلة بالنقاشات، وكان الطابع الغالب على النقاش والمناظرة هو الطابع السياسي، إذ كانت الكتل الطلابية المتنوعة توجه إلى الكتلة الإسلامية سؤالا واحداً ومحرجاً، هو: أين أنتم على ساحة المقاومة؟ وكان شباب الكتلة الإسلامية يستحضرون التاريخ والنضالات السابقة للإخوان المسلمين في حرب ١٩٤٨، وفي

في ١/٦/١٩٨٧، والتي قام بها مجاهدون من سرايا الجهاد، وهي قوة مشتركة بين شباب من "فتح" وحركة الجهاد، ثم المعركة الخالدة المعروفة باسم "معركة الشجاعة" في ٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٧، حين وقع اشتباك مسلح بين قوات الاحتلال وبين عدد من مجاهدي الحركة، الذين كان بعضهم قد تمكن من الهروب من سجن غزة المركزي المحاط بإجراءات أمنية إسرائيلية مشددة، والقيام بعدة عمليات عسكرية نوعية ضد أهداف صهيونية كان أهمها اغتيال قائد الشرطة العسكرية في قطاع غزة الكولونيل رون طال في ٢ آب / أغسطس ١٩٨٧. وكانت معركة الشجاعة وغيرها من العمليات العسكرية التي قام بها مجاهدو الجهاد الإسلامي، ولا سيما مجموعة المجاهدين الفارين من سجن الاحتلال، سبباً مباشراً، ومقدمة ألهمت الشارع الفلسطيني وقادت إلى اندلاع الانتفاضة في كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العمل الجهادي الذي كان يمارس تحت اسم سرايا الجهاد كان بمبادرة رئيسية من مجموعة من أبناء حركة "فتح"، كانوا رموزاً على مستوى الثورة، وكانوا يمتلكون الرؤية بشأن مركزية القضية الفلسطينية، وضرورة إطلاق الجهاد على أرض فلسطين، فضلاً عن امتلاكهم الخبرة العملية داخل صفوف "فتح"، في الوقت الذي كانت التجمعات الجهادية الإسلامية في فلسطين قليلة الخبرة وصغيرة ومتواضعة وبحاجة إلى أمثال أبي حسن (محمد ابحيص) وحمدى (باسم التميمي) ومروان كيالي،<sup>٤٧</sup> وغيرهم للاستفادة مما لديهم من إمكانيات وخبرة لانطلاق الجهاد في فلسطين. وتم إنشاء سرايا الجهاد كإطار لتنسيق مجهودات عام بغض النظر عن الجهة المعنية التي تقوم

الإخوان المسلمين أن يقوموا بخطوات للحدّ من تسليط الأضواء على حركة الجهاد الإسلامي المنافسة،<sup>٥٢</sup> فبدأوا سرّاً بالتجهيز للعمل العسكري المسلح، مستندين في ذلك إلى منظومة الدعم المادي الذي كان يُرسل لأجل إعداد البنية التحتية والاجتماعية والخيرية والطالبية من جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين في الأردن.<sup>٥٣</sup>

٤ - المنافسة بين جماعة الإخوان المسلمين وفصائل منظمة التحرير: لقد نافس الإخوان المسلمون فصائل منظمة التحرير في جميع المجالات داخل الأرض المحتلة وخارجها، وكان لا بد من أن تشمل أيضاً ساحة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، وخصوصاً بعد تردي أوضاع منظمة التحرير وانحسار دورها في الكفاح المسلح من الخارج في إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في سنة ١٩٨٢، وما ترتب عليه من إخراج قوات المنظمة من لبنان وتشتيتها في الأقطار العربية. لقد شعر الإخوان بأن عدم اشتراكهم الفاعل في مواجهة قوات الاحتلال في الفترة الماضية ترتّب عليه خسارة الساحة الفلسطينية لمصلحة فصائل المقاومة، ولهذا لم يعد من المعقول والمقبول أن تبقى الجماعة خارج دائرة الفعل المقاوم،<sup>٥٤</sup> وكان لا بد للحركة الإسلامية من الانخراط في العمل المسلح لتكريس شرعيتها السياسية من خلال مقاومة المحتل، إلى جانب الشرعية الدينية التي تتمتع بها.<sup>٥٥</sup>

٥ - أثر النخب الإخوانية الجديدة، صاحبة الخبرة الوافدة المتأثرة بالتجارب الإخوانية في البلاد العربية، في تغيير استراتيجيا الإخوان المسلمين تجاه الصراع مع الاحتلال الصهيوني. ومن العوامل الفكرية التي ساهمت في هذا التحول يمكن،

خمسنيات القرن العشرين، وكذلك في نهاية الستينيات حين شارك الإخوان فيما يطلقون عليه اسم عمليات الشيوخ. وأصدرت الكتلة في هذا المجال كتيباً للمرحوم فتحي يكن عنوانه: "الحقيقة الغائبة"، عرض خلاله جهود الإسلاميين الكفاحية كلها لأجل القضية الفلسطينية منذ بدايتها حتى نهاية الستينيات، مضيفاً إليها تجربة أسرة الجهاد بقيادة الشيخ عبد الله نمر درويش داخل فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨، وكذلك اعتقال الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من إخوانه في سنة ١٩٨٤، بتهمة حيازة أسلحة وتشكيل تنظيم مسلح لإبادة دولة إسرائيل.<sup>٥٦</sup> وأفضى هذا التطور إلى المرحلة في ترتيب أولويات الحركة الإسلامية: وما بين أولوية التمكين، وألوية التحرير والتغيير، خلصت الحركة الإسلامية إلى صيغة عضوية متداخلة تحاول أن تزيل أي تناقض بينهما، بل تمزج وتوازي العمل بهما معاً، وفي آن واحد، من خلال الحراك والتفاعل الداخلي.<sup>٥٧</sup>

٢ - كان إنشاء الجامعات والكليات الجامعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ سنة ١٩٧٧ وما بعدها، والتي استوعبت آلاف الطلبة، قد جعل منها بؤر استقطاب قوية أدت إلى نمو بعض الحركات الإسلامية.<sup>٥٨</sup> كما شكلت تلك الجامعات رافداً قوياً رُفد الحركة الإسلامية بمجموعة من الكوادر والقيادات الشابة المدربة والمتمرسة في العمل الدعوي والعمل الجماهيري والعمل السياسي، والتي شكل أفرادها فيما بعد قيادة حركة المقاومة الإسلامية وكوادرها، وكان لهم الدور الطلائعي الفاعل في الانتفاضتين الأولى والثانية.

٣ - أدى ظهور حركة الجهاد الإسلامي، وتناميها السريع، وتنفيذها عمليات جريئة، إلى أن تكون منافساً قوياً للإخوان على الصعيد المعنوي، ومن هنا كان على

الإخوان المسلمين، وهي تتطابق معها أيديولوجياً بشكل تام، فعندما يتعلق الأمر بشعارات الحركة الدينية العامة، نجد أنها لا تختلف شيئاً عن الإخوان.<sup>٨</sup> فعلى سبيل المثال: "الله غايتنا، والرسول قودوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا."<sup>٩</sup> أما فيما يخص القضية الفلسطينية، فقد تبنت الحركة كثيراً من الشعارات التي تؤكد وجهة نظرها المستندة إلى الشعارات الإسلامية التقليدية بشأن القضية الفلسطينية، مثل كون فلسطين أرض وقف إسلامي.<sup>١٠</sup>

### خاتمة

لا بد في الختام من التأكيد أن "حماس"، كأبي ظاهرة اجتماعية سياسية، ليست حركة جامدة، أو أن خطابها خطاب ثابت لم ولا يتغير، إذ شهد هذا الخطاب، كما شهدت الحركة نفسها وممارستها، عدة تطورات وتغيرات مهمة أدت إلى تحولها بالتدريج من حركة ذات طابع دعوي ديني على النمط الإخواني الكلاسيكي إلى حركة وطنية جهادية، من نوع جديد، وذات خطاب سياسي براغماتي على النمط الفتاوي، لا يرتكز على الإحالات الدينية أو على مرجعية الشرع وحده. فبين خطاب وعمل المؤسسين الأوائل أيام المجمع الإسلامي والجامعة الإسلامية في غزة ونشاطاتهم السياسية والاجتماعية الدعوية (١٩٦٧ - ١٩٨٧) من ناحية، وخطاب وممارسة المقاومة الوطنية ضد إسرائيل وصعود الجناح العسكري للحركة من ناحية أخرى، فارق كبير هو بالتأكيد لمصلحة السياسة البراغماتية وفكرة التحرر الوطني والمقاومة الشعبية. لا بل يمكننا القول مع خالد الحروب إن

بصورة خاصة، رصد تأثير الأفكار الثورية التي طرحها سيد قطب في كتابه: "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق"، والتي كان شباب الجهاد يركزون عليها في مجلتهم "الطليعة الإسلامية".

٦ - دور الضفة الغربية في تأسيس حركة "حماس"، فعند الحديث عن تأسيس الحركة تتجه الأنظار إلى الروايات التي تتحدث عن دور قطاع غزة وقيادة الإخوان المسلمين في غزة في هذا التأسيس، لكن هذه الرواية تختصر أكثر في الحديث عن دور الشيخ أحمد ياسين فقط، مهمة الدور التكاملي للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة وخارج فلسطين في هذا القرار، بل نادراً ما نجد إشارات تؤكد دور الضفة الغربية، لكنها تبقى إشارات مجملية مبهمه وبحاجة إلى تفصيل، فيأتي نص الباحث بلال شلش ومقابلاته وأحاديثه مع عدنان مسودي<sup>١١</sup> كي يكشف عن جهد كبير بُذل في الضفة الغربية، ومواز للجهد المبذول في قطاع غزة وفي خارج فلسطين من أجل الوصول إلى لحظة الانطلاقة التي قررها بداية المكتب الإداري العام الذي يمثل الضفة وغزة. وفي مذكرات مسودي حديث عن شخصيات كان لها الأثر الكبير في مسيرة الحركة الإسلامية، وأسقطت من الروايات التاريخية، كالحاج راضي السلايمة والمهندس حسن القيق والأستاذ ناجي صبحة والشيخ سعيد بلال وغيرهم، وفيه أيضاً تفصيلات بشأن آليات اتخاذ القرار في حركة "حماس"، وحديث عن اجتماعات قيادة الحركة الأولى، وكيفية صوغ بيانات الانتفاضة ومركزيتها، وعن صوغ ميثاق "حماس"، وعن الفشل في التنسيق مع القيادة الموحدة بشأن إدارة الانتفاضة.<sup>١٢</sup>

٧ - وهكذا كانت "حماس" النسخة الفلسطينية للحركة الإسلامية الأم، جماعة

أحمد ياسين وخليفته عبد العزيز الرنتيسي نقطة مفصلية في مسيرة تحولات الحركة؛ فبغيا ب هذين القائدين الرمزين لم يعد هناك سلطة مركزية في الحركة تستفرد بعملية اتخاذ القرار، وإنما توزعت سلطة اتخاذ القرار بين عدة قيادات. وما يثير الاهتمام هو أن القرارات الرئيسية كلها التي اتخذتها "حماس"، مثل قرار خوض الانتخابات وتأليف حكومة، تم تبريرها على أساس سياسي صرف من دون الدخول في جدل ديني بشأن حل أو حرمة المشاركة في انتخابات تنظم بمقتضى اتفاقات مع العدو الصهيوني.<sup>٦٣</sup>

إن أيديولوجيا الحركة اليوم هي خليط من عدة أفكار واتجاهات، من دون أن يعني ذلك قطيعة مع ميراث الإخوان المسلمين الذي يتمثل في حرص الحركة على الحفاظ على وحدتها؛ ف"حماس" هي الفصيل الفلسطيني الوحيد الذي لم يشهد انشقاقات داخل صفوفه حتى اليوم بفضل استعدادها للتضحية بأي مكسب استراتيجي مهما تكن أهميته، إذا كان ذلك سيهدد وحدتها الداخلية، ولذلك يجب ألا تغيب الحسابات والاعتبارات الداخلية للحركة عن بال من يحاول تحليل مواقفها وقراراتها.<sup>٦٤</sup> ■

"هذا الاتجاه سيتعزز أكثر في الفترة التي تلت اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣؛ حيث اختفى الديني من خطاب حماس ليحل محله السياسي بشكل شبه كامل، كما ستطغى الاعتبارات السياسية على حسابات الحركة، وتتضاءل أهمية المحور الدعوي." كما شهدت تلك الفترة "تحولاً محورياً يتعلق برؤية الحركة للصراع مع إسرائيل؛ حيث بدأت الحركة تدرك أن مطلب تحرير فلسطين من النهر إلى البحر" غير واقعي، بعد أن تجاوزته التطورات والأحداث؛ وهو ما تمثل في تصريحات الشيخ أحمد ياسين بأن الحركة مستعدة لقبول دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولعقد هدنة طويلة مع إسرائيل.<sup>٦١</sup>

ومثلت انطلاقة حركة "حماس" ودخولها ميدان المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني كحالة استثنائية في جماعة الإخوان المسلمين، تأسيساً لوضع جديد، إذ أصبحت الحركة طرفاً في الصراع الوطني ضد الاحتلال سياسياً وعسكرياً، وحققت العلاقة الصدامية مع الحركة الوطنية ومع أطراف إقليمية عدة منها إيران، وانتهى الخطاب التكفيرى للشبيحة.<sup>٦٢</sup> ومن جهة أخرى، مثل تغيب الشيخ

## المصادر

١. Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters* (London: 2007).

وانظر أيضاً:

خالد الحروب، "حماس: الفكر والممارسة السياسية" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧)، ص ٣٩، ٤٤-٤٥؛ تيسير جبارة، "دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة" (عمّان: دار الفرقان، ١٩٩٢)؛ مهيب سلمان أحمد النواتي، "حماس من الداخل" (عمّان، غزة: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٢)؛ أحمد منصور، "أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة" (لبنان، بيروت: الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٣)؛ زياد أبو عمرو، "الحركة

الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة" (فلسطين، عكا: دار الأسوار، ط ٢، ١٩٨٩)؛ عبد الله أبو عيد وآخرون، "دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)"، تحرير جواد الحمد وإياد البرغوثي (الأردن، عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ط ٣، ١٩٩٩)؛ موسى أبو مرزوق، "تجربة المقاومة والانتفاضة وأفاقها حتى عام ٢٠١٥" (قطاع غزة، البريج: دون طبعة ولا دار نشر، ٢٠٠٥)؛ زياد أبو عمرو، "حماس: خلفية تاريخية سياسية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣ (شتاء ١٩٩٣)؛ علي الجرباوي، "حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣ (شتاء ١٩٩٣)؛ زكي شهاب، "حماس من الداخل: القصة غير المروية" (بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، ٢٠٠٨)؛ أحمد يوسف، "تجربة حماس السياسية: مريعات الرؤية والحسابات" (غزة: بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٠)؛ سمير سعيد، "حركة المقاومة الإسلامية حماس" (عمّان: دار الوفاء، ط ١، ٢٠٠٢)؛ خالد أبو العمرين، "حركة المقاومة الإسلامية حماس: جذورها ونشأتها ودورها السياسي ١٩٢٠ - ١٩٩١" (السودان: جامعة الخرطوم، ١٩٩٤)؛ أحمد بن يوسف، "حركة المقاومة الإسلامية حماس: خلفيات النشأة وأفاق المسير" (المركز العالمي للبحوث والدراسات، الإصدار الثاني، ١٩٨٩).

٢ هذا ما تقوله مصادر حركة الجهاد الإسلامي في: "مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين" (ط ١، تموز / يوليو ١٩٨٩). ويمكننا العثور على تأكيد صريح لهذا التاريخ في دراسة زئيف شيف وإيهود يعاري، "انتفاضة"، ترجمة دافيد سجييف (القدس: دار شوكن للنشر، ١٩٩٠)، ص ٢٦-٢٧. أمّا "حماس" فتذكر تاريخ ١٢ كانون الأول / ديسمبر في غزة، و١٤ كانون الأول / ديسمبر في الضفة، موعداً لتوزيع بيانها الأول. انظر الهامش السابق.

٣ "ميثاق حركة حماس" (فلسطين: منشورات حركة المقاومة الإسلامية، ١٩٨٩).

٤ المصدر نفسه.

٥ المصدر نفسه، "المقدمة".

٦ المصدر نفسه.

٧ المصدر نفسه.

٨ "حركة المقاومة الإسلامية حماس: مذكرة تعريفية"، نقلًا عن: الحروب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٨ - ٣١٧.

٩ ظهرت النواة الأساسية للحركة الإسلامية في فلسطين ٤٨ في منطقة المثلث، وهي منطقة أكثرية سكانها من العرب المسلمين، وتمتد بين كفر قاسم وأم الفحم. وتوسعت الحركة بعد ذلك وأقامت مراكز لها في منطقتي الجليل والنقب، وكان الشيخ عبد الله نمر درويش من أوائل المبادرين إلى تأسيس الحركة الإسلامية في سنة ١٩٧٢ ونشر الدعوة في كفر قاسم، ثم في القرى المجاورة، كفر برا وجلجولية والطيبة. وفي سنة ١٩٧٨ وصلت الدعوة إلى مدن أم الفحم وباقة الغربية وحت في شمالي منطقة المثلث، وفي سنة ١٩٧٩ وصلت إلى النقب، أمّا في سنة ١٩٨٠ فوصلت إلى الناصرة وبعض قرى الجليل. وقد ألقى القبض على الشيخ درويش في سنة ١٩٨١، وحُكم عليه بالسجن ٤ أعوام، أمضى منها ٣، وأفرج عنه في سنة ١٩٨٤، وكانت التهمة التي أدين بها هي صلته بتنظيم سري إسلامي (أسرة الجهاد) بعدما اتهم أعضاء هذا التنظيم بحيازة أسلحة ومتفجرات وإشعال النيران في أملاك يهودية. وحُكم على زعيم التنظيم، فريد أبو مخ من باقة الغربية، بالسجن ١٠ أعوام، وأطلق مع آخرين في إطار صفقة تبادل في سنة ١٩٨٥. وعاد الشيخ نمر درويش بعد الإفراج عنه إلى قرية كفر قاسم كي يتزعم الحركة الإسلامية التي اهتمت بالبنية التحتية الاجتماعية.

فأقامت شبكة من عشرات الجمعيات والروابط القانونية التي أسست بدورها رياض الأطفال وعيادات ونوادي رياضية وكلية دينية. وأسس "حركة الشباب المسلم" التي ركزت نشاطها بشكل أساسي على السلطات المحلية، وحددت آلية عملها بالنهوض بأوضاع فلسطينيي ٤٨ ورعاية شؤونهم بأنفسهم، بحيث يقوم المشاركون فيها بأعمال عامة مثل شق الشوارع والطرق وإقامة محطات الوقوف والمواصلات العامة وترميم المدارس وتنظيف المقابر وبناء الصفوف الدراسية، كما أقيمت رياض أطفال وخدمات للمسنين ومكتبات عامة للمكتبة الدينية. وكانت أسرة الجهاد أول حركة إسلامية مسلحة تنطلق في فلسطين المحتلة.

١٠ "حركة المقاومة الإسلامية حماس: مذكرات تعريفية"، مصدر سبق ذكره.

١١ المصدر نفسه.

١٢ الحروب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

١٣ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢-١٣.

١٤ منصور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥-٢٧.

١٥ نهاد الشيخ خليل، "البناء الداخلي لحركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة ١٩٦٧-١٩٨٧"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد ٢٠، العدد الأول، ص ٣١٣-٣٥٤، كانون الثاني / يناير ٢٠١٢. وقارن ب: عبد الفتاح دخان، "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين في القرن العشرين"، الجزء ٢ (فلسطين، غزة: مركز النور للبحوث والدراسات، ط ١، ٢٠٠٤)، ص ٧٥.

١٦ Matthew Levit, *Hamas Politics: Charity and Terrorism in the Service of Jihad* (New York: 2006), p. 21.

١٧ نهاد الشيخ خليل، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٦.

١٨ المصدر نفسه.

١٩ المصدر نفسه.

٢٠ إبراهيم أحمد المقادمة أبو أحمد من بيت دراس من قضاء المجدل - عسقلان، ولد في سنة ١٩٥٠ في مخيم البريج للاجئين وسط قطاع غزة. وعاش في مخيم جباليا ودرس في مدارس وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) وحصل على الثانوية العامة بامتياز، ثم انتقل إلى مصر لمواصلة دراسته الجامعية حيث التحق بكلية طب الأسنان وتخرج طبيباً للأسنان. عمل في مستشفى الشفاء في غزة، ثم أصبح أخصائي أشعة. فُصل من وزارة الصحة بعد أن اعتقلته السلطات الفلسطينية بتهمة الحصول على أسلحة، فانتقل إلى العمل في مستشفى الجامعة الإسلامية في غزة. انضم إلى حركة الإخوان المسلمين في شبابه في أثناء الدراسة الجامعية في مصر إلى أن أصبح من المقربين إلى مؤسس حركة "حماس" أحمد ياسين، وأحد قادة الحركة. شكّل المقادمة أهم أعمدة جهاز الحركة العسكري، وأمد مقاتلي الحركة بالأسلحة. اعتُقل أول مرة في سنة ١٩٨٤ بتهمة إنشاء جهاز عسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة، وحُكم عليه بالسجن ثمانية أعوام. وفي سنة ١٩٩٦ اعتقلته السلطات الفلسطينية بتهمة تأسيس جهاز عسكري سري لحركة "حماس" في غزة، وأطلقته بعد ثلاثة أعوام، لكن أجهزة الأمن عاودت اعتقاله أكثر من مرة. في أواخر حياته نشط المقادمة في المجال الدعوي والفكري وتأليف كتب أبرزها: "معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين"، و"الصراع السكاني في فلسطين". اغتالته القوات الإسرائيلية مع ثلاثة من مرافقيه في ٨ آذار / مارس ٢٠٠٣.



- ٢١ جمال باروت وفيصل دراج، "الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية" (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الجزء ١، ط ٢، ٢٠٠٠)، ص ٣٨٧.
- ٢٢ جبارة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨-١٩.
- ٢٣ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠-١٢٤.
- ٢٤ جبارة، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.
- ٢٥ المصدر نفسه، ص ١٤.
- ٢٦ "خالد مشعل يتذكر"، حاوره غسان شربل، صحيفة "دار الحياة"، في الموقع الإلكتروني التالي:  
www.daralhayat.com, 2003/12/5.
- ٢٧ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢-١١٧.
- ٢٨ جبارة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.
- ٢٩ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٨؛ الحروب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢؛ "خالد مشعل يتذكر"، مصدر سبق ذكره.
- ٣٠ ناصر الدين الشاعر، "عملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية: وجهة نظر إسلامية" (فلسطين، نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، دائرة السياسة والحكم، أوراق في الفكر والسياسة الإسلامية الفلسطينية المعاصرة، ط ١، آذار / مارس ١٩٩٩)، ص ٢١.
- ٣١ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.
- ٣٢ خالد عبد الرحيم إسماعيل عبد القادر مشعل (أبو الوليد)، ولد في ٢٨ أيار / مايو في قرية سلواد قضاء رام الله بفلسطين، وتلقى التعليم الابتدائي فيها حتى سنة ١٩٦٧ حين هاجر مع أسرته إلى الكويت حيث عاش في مستوى اقتصادي فوق المتوسط. أكمل هناك دراسته المتوسطة والثانوية، ثم دراسته الجامعية حتى حصل على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الكويت. وكانت جامعة الكويت في سبعينيات القرن الماضي تعج بالتيارات الفكرية العربية منها عامة، والفلسطينية خاصة، وشهدت انتعاشة طلابية حركية نشيطة. وساهمت هذه الفترة الذهبية بشكل كبير في تكوين شخصيته وتنمية ملكاته، فقاد التيار الإسلامي الفلسطيني في جامعة الكويت، وشارك في تأسيس "كتلة الحق الإسلامية" التي نافست قوائم حركة "فتح" على قيادة الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت، تلك الكتلة التي سرعان ما تحولت بعد تخرجه إلى ما عُرف بالرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين. تخرج مشعل في سنة ١٩٧٨، وعمل مدرساً للفيزياء في الكويت. يحمل مشعل إجازة في القرآن الكريم، إذ إنه تتلمذ في سورية على يد كبار شيوخها. انضم إلى تنظيم الإخوان المسلمين في سنة ١٩٧١، وكان له دور كبير في انتماء العديدين إلى التنظيم الذي تبوأ فيه أعلى المناصب. شارك مشعل في تأسيس "حركة المقاومة الإسلامية" ("حماس") في سنة ١٩٨٧، وانضم إلى مكتبها السياسي منذ تأسيسها في نهاية سنة ١٩٨٧، ولدى عودته إلى الأردن أصبح عضواً نشيطاً فيها حتى انتُخب في سنة ١٩٩٦ رئيساً للمكتب السياسي للحركة. في ٢٥ أيلول / سبتمبر ١٩٩٧ استهدفه الموساد الإسرائيلي، وتم حرقه بمادة سامة في أثناء سيره في شارع وصفي التل في عمان. اكتشفت السلطات الأردنية محاولة الاغتيال وقامت بإلقاء القبض على اثنين من عناصر الموساد المتورطين في عملية الاغتيال، وطلب العاهل الأردني الراحل الملك حسين من رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك، بنيامين نتنياهو، المصل المضاد للمادة السامة التي حُقن بها مشعل، فرفض نتنياهو في بادئ الأمر، ثم تدخل الرئيس الأميركي بيل كلينتون لإرغام

= نتنياهو على تقديم المصل المضاد للسلم المستعمل. رضخ نتنياهو في النهاية وقام بتسليم المصل المضاد. وأفرجت السلطات الأردنية فيما بعد عن عملاء الموساد في مقابل إطلاق الشيخ أحمد ياسين. وفي آب / أغسطس ١٩٩٩ أبعدهت السلطات الأردنية عن الأردن مع آخرين من قيادات الحركة. وفي ٢٣ آذار / مارس ٢٠٠٤ أعلنت "حماس" خالد مشعل رئيساً للحركة خلفاً لمؤسسها بعد اغتيال إسرائيل الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي.

٣٣ "خالد مشعل يتذكر، مصدر سبق ذكره.

٣٤ وُلد موسى أبو مرزوق في سنة ١٩٥١ في مخيم رفح الفلسطيني في مدينة غزة. كانت عائلته تسكن في قرية بينا القريبة من مدينة المجدل عسقلان، وهجرت بعد النكبة في سنة ١٩٤٨ إلى مدينة رفح بقطاع غزة، وسكنت عائلته في مخيم رفح للاجئين. درس المرحلة الأساسية في قطاع غزة، ثم درس في سنة ١٩٧٥ الهندسة الميكانيكية في جامعة حلوان في مصر، وسافر إلى الولايات المتحدة لإكمال دراسته حيث حصل على درجة الماجستير في إدارة الإنشاءات في سنة ١٩٨٤، ثم حصل على درجة الدكتوراة في الهندسة الصناعية في سنة ١٩٩٢. يُعتبر أبو مرزوق أحد مؤسسي الجامعة الإسلامية في غزة، وهو عضو هيئة الإشراف فيها. نشط في العمل الإسلامي منذ سنة ١٩٦٨، إذ شارك فتحي الشقاقي ورفاقه في أولى حلقات الإخوان في غزة، ثم في مصر. تم انتخابه كأول رئيس للمكتب السياسي لحركة "حماس" في سنة ١٩٩٢، ثم عمل نائباً لرئيس المكتب السياسي بعد الإفراج عنه في سنة ١٩٩٧.

٣٥ "خالد مشعل يتذكر"، مصدر سبق ذكره.

٣٦ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

٣٧ "خالد مشعل يتذكر"، مصدر سبق ذكره.

٣٨ النواتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

٣٩ المصدر نفسه، ص ٧٠.

٤٠ المصدر نفسه، ص ٧١.

٤١ نشرة "حماس" في الذكرى الثانية للانطلاقة، غزة، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٨، ص ١٢.

٤٢ راجع بصورة خاصة: Tamimi, op.cit., pp. 20-21، وذلك نقلاً عن الشيخ ياسين نفسه.

٤٣ Ibid., p. 21.

٤٤ أدين للصديق علي شكشك بمساعدتي عبر حوارات مكثفة في استرجاع ذكريات تلك الأحاديث التي جرت في فترات متقطعة أيام كنت أشارك معهم في إصدار مجلة "الطلیعة الإسلامية" خلال الفترة ١٩٨٣-١٩٨٦، ثم أيام إبعاد فتحي الشقاقي والشيخ عبدالعزيز عودة إلى لبنان في آب / أغسطس ١٩٨٨ حيث كنت أنا من استقبلهم وأقام لهم الخيمة في منطقة كسارة - زحلة، ثم ساعدهم في الانتقال بعد ذلك والتمركز في بيروت والمخيمات خلال السنوات ١٩٨٨-١٩٩٠.

٤٥ هذه خلاصة مكثفة، لكن وافية، لمجمل الأحاديث التي تمت مع الإخوة الشقاقي وعودة ونافع وشكشك خلال مرحلة ١٩٨٣-١٩٨٨.

٤٦ على حد وصف شكشك، والحقيقة هي أن شباب الجهاد يمتازون عن "حماس" بالانفص الشعري الرومنطقي والثقافة العالية والهيم الفكري المتوتر.

٤٧ استشهد القادة الثلاثة في عملية إسرائيلية في ليماسول في قبرص في ١٢ شباط / فبراير ١٩٨٦.

- ٤٨ المقاومة الإسلامية في فلسطين، "انطلاقة الدم والشهادة"، ١٦/١٠/١٩٨٧.
- ٤٩ Jeroen Gunning, "Re-Thinking Western Construction of Islamism: Pluralism, Democracy and Theory and Praxis of The Islamic Movement in The Gaza Strip". A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy (University of Durham, Centre for Middle Eastern and Islamic Studies, 2000), p. 126.
- ٥٠ الحروب، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.
- ٥١ زياد أبو عمر، "الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة" (عكا: دار الأسوار، ط ٢، ١٩٨٩)، ص ٣٥ - ٣٦.
- ٥٢ أبو عبيد، مصدر سبق ذكره، ص ٤١ - ٤٢.
- ٥٣ إبراهيم غوشة، "المئذنة الحمراء: سيرة ذاتية" (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط ١، ٢٠٠٨)، ص ١٥٤.
- ٥٤ إياد البرغوثي، "الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة" (فلسطين: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، ط ١، ١٩٩٠)، ص ٨٩.
- ٥٥ الجرباوي، مصدر سبق ذكره، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ١٣، ص ٧٥.
- ٥٦ أمديني الباحث بلال شلش مشكوراً بصورة عن بعض صفحات بحثه الذي هو عبارة عن تحرير لمذكرات المجاهد عدنان مسودي، والذي سيصدر قريباً عن مركز الزيتونة في بيروت.
- ٥٧ الشيخ خليل، مصدر سبق ذكره.
- ٥٨ البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.
- ٥٩ "وثائق حماس"، "ميثاق حركة حماس"، مصدر سبق ذكره، المادة الخامسة.
- ٦٠ المصدر نفسه، المادة الحادية عشرة.
- ٦١ تصريحات الشيخ أحمد ياسين نقلها خالد الحروب في ندوة نظّمها برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات السياسية في باريس، الخميس ٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠، وأدارها جيل كيبيل.
- ٦٢ فتحي الشقاقي، مقابلة مع صحيفة "الشرق الأوسط"، ١٧/٣/١٩٩٥.
- ٦٣ الحروب، مصدر سبق ذكره.
- ٦٤ المصدر نفسه.

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

## تاريخ فلسطين في طوابع البريد

مجموعة

نادر خيري الدين أبو الجبين

طبعة ثانية مزيّدة ومحدّثة

٤٩٣ صفحة ١٠٠ دولار